



مركز الملك عبد العزيز
للحوار الوطني

الحوار في القرآن نماذج ومبادئ

زكي بن عبد الله الميлад

رسائل
في الحوار

03 |



الحوار في القرآن نماذج ومبادئ

زكي بن عبد الله الميлад

٢٠٠٩م / ١٤٣٠هـ

ح

مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني، ١٤٣٠هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر .

الميلاد، زكي

الحوار في القرآن .. نماذج ومبادئ، زكي الميلاد

مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني، الرياض، ط ١، ١٤٣٠هـ
٤٥ ص: ١٧ × ٢١ سم .

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٩٠٠٠٩٨-٨-٧

١ - الحوار، ٢ - القرآن - مباحث عام - أ- العنوان

ديوي: ٢٢٩ ١٤٣٠/٦٨٧١

الطبعة الخامسة، ١٤٣٨هـ

رقم الإيداع: ١٤٣٠/٦٨٧١

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٩٠٠٠٩٨-٨-٧

جميع حقوق الطبع محفوظة

مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني

الرياض، ١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م

ص.ب. ٨٩٨٦٦ ، الرياض ١١٦٩٢

البريد الإلكتروني: rs@kacnd.org

www.kacnd.org

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المشرف العام

معالي الأستاذ: فيصل بن عبدالرحمن بن معمر

نائب المشرف العام

الدكتور: فهد بن سلطان السلطان

هيئة التحرير

رئيساً	أ. د. عبدالله بن إبراهيم الطريقي
عضواً	أ. د. عبدالله بن حسين الخليفة
عضواً	أ. د. محمد بن عبدالعزيز الحيزان
عضواً	د. خالد بن عبدالكريم البكر
عضواً	د. محمد بن عبدالله الشويعر
عضواً	د. فاطمة بنت محمد القرني
عضواً	د. نوال بنت عبدالعزيز العيد
عضواً	د. وفاء بنت حمد التويجري
عضواً	أ. فاطمة بنت فيصل العتيبي

إدارة التحرير

- أ. متعب بن سلمان الشمري
- أ. عبدالله بن ناصر الخريف
- أ. خلود بنت محمد الجبران
- أ. لطيفة بنت سالم المنيع
- أ. أسماء بنت عبدالله العبد الواحد

المحتويات

الصفحة	الموضوع
٨	المقدمة
١١	الفصل الأول: الكتابات الإسلامية وفكرة الحوار في القرآن الكريم
٢٥	الفصل الثاني: الحوار في القرآن.. صور ونماذج
٤٣	الفصل الثالث: الحوار في القرآن.. قواعد ومبادئ
٤٩	الهوامش
٥٣	المصادر

المقدمة

القرآن الكريم باتفاق جميع المسلمين، هو أول كتاب يجب الرجوع إليه في كل ما يتعلق بمعارف الإسلام، عقيدة وشريعة وأخلاقاً، بوصفه كتاباً منزلاً من الله سبحانه، وتبيناً لكل شيء، وصرّف الله فيه للناس من كل مثل، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ وذلك ليكون كتاباً مرجعياً خالداً وشاملاً، يرجع إليه الإنسان في كل زمان ومكان وحال، وفي كل شأن من شؤونه الفردية والاجتماعية، الدينية والدنيوية، وهكذا في شؤون المجتمع والأمة.

وفي القرآن الكريم كثير من الصور والنماذج الحوارية البليغة والمؤثرة، والتي جاءت مكثفة وواسعة في كثير من سوره وآياته، الطويلة والقصيرة، المكية والمدنية، بحيث يمكن القول: إن القرآن الكريم هو أول كتاب حوار في الإسلام، ومن ثمّ فهو أهم مرجع على الإطلاق في مسألة الحوار بين الناس، وفي تأصيل فكرة الحوار وتفعيلها في الإسلام والفكر الإسلامي.

ومن هنا تأتي أهمية وقيمة البحث عن مسألة الحوار في القرآن، والكشف عن صور هذا الحوار ونماذجه، وقواعده ومبادئه، عبره ومواعظه، هديه وبصائره.

وما يؤكد أهمية الاهتمام بهذه المسألة، هو تلك المفارقة اللافتة في عدم التناسب الشديد بين ما يتجلى في القرآن الكريم من عناية فائقة بمسألة الحوار، وانخفاض مستويات الحوار بين المسلمين وتقلصها، المفارقة التي تكشف عن خلل فكري وثقافي أصاب العقل الإسلامي، فأحدث مثل هذه المفارقة التي هي بحاجة إلى معالجة فكرية وثقافية.

وهذه الدراسة هي محاولة للتأمل في مسألة الحوار في القرآن الكريم، وتحدت في ثلاثة فصول، تطرق الفصل الأول إلى الكتابات الإسلامية المعاصرة التي تناولت فكرة الحوار في القرآن، والكشف عن المداخل التي استندت عليها في هذا التناول؛ وذلك بقصد مواكبة التراكم الفكري والثقافي المنجز في هذا الشأن، وتكوين المعرفة به.

وتطرق الفصل الثاني إلى بعض الصور والنماذج الحوارية التي شرحها لنا القرآن الكريم، وتحدت هذه الصور والنماذج في أربعة حوارات؛ الأول حوار سبحانه وتعالى مع الملائكة بوصفه أول حوار شرحه لنا القرآن، الثاني حوار جلَّ شأنه مع إبليس، وهو الحوار الثاني في الكتاب المجيد، والثالث حوار الله - جلَّت قدرته - مع آدم بوصفه أول حوار بين الله والإنسان، الرابع حوار الأنبياء مع أقوامهم، وتحدد في ثلاثة نماذج؛ حوار نبي الله نوح مع قومه بوصفه أول حوار أشار إليه القرآن بين نبي وقومه، وحوار نبي الله إبراهيم مع قومه بوصفه أبا الأنبياء، وفي ذريته وضعت النبوة، وحوار نبي الله موسى مع قومه بوصفه أوسع حوار أشار إليه الكتاب المجيد. وتطرق الفصل الثالث إلى بعض القواعد والمبادئ المستنبطة من القرآن الكريم والناظمة لمنهج الحوار بين الناس على تعدد وتنوع دياناتهم ومذاهبهم ولغاتهم وألسنتهم وقومياتهم وأعراقهم.

أمل أن أكون قد وفقت بعض الشيء في هذه المحاولة، وأتطلع منها في أن تكون إسهاماً يضيء ثقافة الحوار في المجتمع والأمة ويدعمها.

والله ولي التوفيق ..

زكي بن عبد الله الميلاد

الفصل الأول

الكتابات الإسلامية وفكرة الحوار في القرآن

1

اهتمام متأخر

إذا تتبعنا الكتابات والدراسات التي تناولت الحديث عن فكرة الحوار في القرآن الكريم في المجال العربي، سوف نكتشف أن الاهتمام بهذه الفكرة جاء حديثاً، ولعله يرجع إلى سبعينيات القرن العشرين، فحينما أصدر السيد محمد حسين فضل الله كتابه (الحوار في القرآن.. قواعده وأساليبه معطياته) سنة ١٣٩٦هـ، أشار في مقدمة الكتاب إلى أنه لم يجد في المكتبة الإسلامية في حدود قراءاته كتاباً يبحث في هذا الموضوع بشكل متكامل، وفي الطبعة الخامسة من الكتاب الصادرة سنة ١٤١٦هـ، أشار إلى أن هذا الكتاب ربما يكون حسب قوله، أول كتاب في معالجة هذا الموضوع.

لكنني وجدت أن هناك كتاباً صدر قبل هذا الكتاب بسنة أو أقل، وهو كتاب (الحوار والجدل في القرآن الكريم) لمؤلفه خالف محمد الحسيني، صدر بالقاهرة سنة ١٣٩٥هـ.

ومنذ الالتفات لهذه الفكرة لم نشهد تراكماً متجدداً ومتصلاً على الصعيدين الكمي والنوعي، فما زال الاهتمام بهذه الفكرة في مجال الدراسات الفكرية والقرآنية يعد ضعيفاً ومحدوداً، لا يتناسب وأهمية هذه الفكرة وقيمتها، وفي هذا الوقت تحديداً الذي تتأكد فيه للجميع الحاجة الملحة إلى الحوار ثقافة وقيماً ونهجاً وأخلاقاً، أكثر من أي وقت مضى.

واللافت في الأمر أن الاهتمام بهذه الفكرة ظل ضعيفاً ومحدوداً حتى بعد تجديد فكرة الحوار وانبعاثها انبعاثاً واسعاً على الصعيد العالمي، مع انطلاقة فكرة حوار

الحضارات والثقافات في العقد الأخير من القرن العشرين، إلى فكرة حوار الأديان التي شهدت نشاطاً ملحوظاً مع بداية القرن الحادي والعشرين، مروراً بفكرة حوار المذاهب في المجال الإسلامي، وصولاً إلى فكرة الحوار الوطني في المجال العربي . هذا الاهتمام الواسع بفكرة الحوار، والذي يحصل لأول مرة بهذا المستوى من الدينامية والاتساع، وبهذا الامتداد والعبور بين الثقافات والحضارات، والمجتمعات والديانات، واللغات والقوميات، والطوائف والمذاهب، كان يفترض أن يحرك بصورة أكبر العناية والاهتمام بفكرة الحوار في القرآن الكريم بوصفه الكتاب الذي تتأكد حاجة الرجوع إليه في مثل هذه الحالات؛ تصويماً للموقف الشافي، وبحثاً عما يطمئن إليه القلب والعقل، وتنوراً بهدي القرآن وبصائره، وبوصفه كتاباً مرجعياً، حاكماً وناظماً لمصادر الأدلة الأخرى، ويرجع إليه المسلمون في اجتهاداتهم واستنباطاتهم الفكرية والتشريعية، وفي مختلف قضاياهم وشؤونهم، وكل أبعاد حياتهم هذا من جهة، ومن جهة أخرى ما تمثله فكرة الحوار من مساحة كبيرة، وما تحظى به من عناية فائقة في هذا الكتاب المجيد .

وعند النظر في الكتابات التي تناولت فكرة الحوار في القرآن، يمكن تقسيمها من ناحية طريقة تناولها لهذه الفكرة، إلى ثلاثة أقسام، هي :

القسم الأول: الكتابات التي تطرقت إلى هذه الفكرة في نطاق الحديث العام عن الحوار في الإسلام، أو عن الحوار وعلاقته بأحد مجالات المعارف الإسلامية . وجاء الحديث عن هذه الفكرة في هذه الكتابات محدوداً وجزئياً، ومتصلاً في الغالب بالمدخل العام في هذه الكتابات، الذي يشرح في العادة طبيعة المفهوم من جهة المعنى والمبنى، والبحث عن تعريفات المفهوم واستعمالاته، لغة واصطلاحاً، حيث يجري التوقف عند استعماله في القرآن، والإشارة إلى المعنى الذي يعطى له عند المفسرين وأهل اللغة .

وفي هذا الشأن يأتي كتاب: (الحوار آدابه ومنطلقاته وتربية الأبناء عليه) لمؤلفه محمد شمس الدين خوجة، الصادر سنة ١٤٢٥هـ.

القسم الثاني: الكتابات التي تطرقت إلى هذه الفكرة، في نطاق الحديث عن أحد موضوعات الحوار في القرآن، وفي هذا الشأن يأتي كتاب (الحوار مع أهل الكتاب أسسه ومناهجه في الكتاب والسنة) لمؤلفه خالد القاسم، الصادر سنة ١٤١٤هـ.

القسم الثالث: الكتابات التي تطرقت إلى هذه الفكرة، في نطاق الحديث عنها بصورة مركزة عليها، شارحة لها، وكاشفة عن أبعادها ونماذجها وتطبيقاتها في القرآن. وفي هذا الشأن جاءت مجموعة من المؤلفات التي سوف نأتي على ذكر بعضها لاحقاً.

2

تعدد المداخل

استندت الكتابات التي تناولت الحديث عن فكرة الحوار في القرآن الكريم، على مداخل متعددة في النظر إلى هذه الفكرة، من هذه المداخل:

أولاً: المدخل الدعوي:

هناك كتابات عالجت فكرة الحوار في القرآن بالاستناد على المدخل الدعوي، بوصف أن القرآن كتاب للهداية والدعوة في سبيل الله، والمبادئ والحوارات التي تضمنها جاءت متصلة بهذا السياق الدعوي، وفي هذا النطاق ارتبطت فكرة الحوار بإطار الدعوة للإسلام وبحركة العاملين للإسلام، والتأكيد على اقتران هذه الفكرة بالمبادئ الدعوية، بعيداً عن الميادين النظرية.

وفي هذا الشأن يعد كتاب (الحوار في القرآن) للسيد محمد حسين فضل الله من أكثر المؤلفات حرصاً وتأكيداً على هذا المنحى الدعوي، حيث احتوى الكتاب

على إشارات وتنبهات صريحة ومتواترة تشير إلى هذا المنحى وتؤكد من بداية الكتاب إلى نهايته .

ففي مقدمة الطبعة الأولى أشار السيد فضل الله إلى أن هذا الكتاب (يتحرك في الاتجاه الذي لا يجعل من البحث محاولة جديدة في الدراسات الإسلامية الأدبية، بل يجعل منه حركة في خطوات الدعوة الإسلامية المعاصرة باكتشاف الخصائص المشتركة للآفاق التي عاشها الحوار القرآني في عهود الرسالات الأولى، وللآفاق التي تعيشها الدعوة الإسلامية الآن في تجارب الدعاة الإسلاميين، الذين يتحركون في كل المواقع من أجل أن ينطلق الإسلام إلى الحياة)^(١).

وقبل أن يختتم المؤلف هذه المقدمة، أشار مجدداً إلى هذه الملاحظة، وتأكيداً على هذا المنحى بقوله: (لا أحتاج إلى التأكيد من جديد، أن هذا الكتاب لم ينطلق من موقع الترف الفكري الأدبي الإسلامي، بل كل هدفه أن يحرك في خطى العاملين روحاً إسلامية جديدة، تدفع خطوات الحوار إلى أهدافها البعيدة في تقريب الإنسان إلى الله من خلال ارتباطه بالإسلام)^(٢).

ثانياً: المدخل التربوي:

استندت بعض الكتابات التي عالجت فكرة الحوار في القرآن الكريم على المدخل التربوي، بوصف أن الحوار يمثل أسلوباً حيويًا وناجحاً في أساليب التربية، وتدعيم القيم التربوية، ومن هذه الجهة أبرزت هذه الكتابات المعاني والدلالات والمقاصد التربوية لفكرة الحوار في القرآن .

وفي هذا الشأن يعد كتاب (التربية بالحوار)، لمؤلفه الباحث التربوي عبد الرحمن النحلاوي من المؤلفات البارزة في تعزيز هذا المنحى وتأكيد، الذي جاء في سياق اهتمام المؤلف بالمجال التربوي، كتابة وتعليماً، وتصنف على هذا المجال جميع مؤلفاته الأخرى .

ويكشف المؤلف عن هذا المدخل التربوي في كتابه بقوله: (الحوار القرآني أسلوب تربوي فريد في قوة تأثيره، وعمق آثاره التربوية والنفسية، وحسبه أنه مظهر من مظاهر تجلي العناية الإلهية بالإنسان ليعتز بإنسانيته) (٢). وفي مكان آخر من الكتاب يقول: (الحوار القرآني بجميع أصنافه وصيغته وأشكاله، يهذب المشاعر، ويوقظ الوجدان، ويربي العواطف الربانية) (٤).

ويرى النحلوي أن الآثار التربوية للحوار القرآني، من السعة بحيث من الصعب استيعابها والإحاطة بها. وقد احتوى هذا الكتاب على العديد من الصور والنماذج الحوارية في القرآن، التي أشار إليها المؤلف مركزاً على عناصرها ومقاصدها التربوية. وفي هذا الشأن أيضاً يأتي كتاب (الحوار آدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية) لمؤلفه خالد المغامسي، الذي خصص في كتابه فصلاً عن الحوار في الكتاب والسنة، في إطار الحديث عن آداب الحوار وتطبيقاته التربوية، حيث يرى أن بالإمكان استخراج كثير من الآداب التي ينبغي الأخذ بها في الحوار، وفي القرآن الكريم أمثلة شتى للحوار يستشف منها آداب الحوار وأهدافه وغاياته وآثاره (٥).

ثالثاً: المدخل الديني المقارن:

ولجت بعض الكتابات إلى فكرة الحوار في القرآن من المدخل الديني المقارن في نطاق الديانات السماوية الثلاث الكبرى: اليهودية، والمسيحية، والإسلام؛ وذلك لما تضمنه القرآن الكريم من حوارات دينية وعقيدية موسعة ومهمة للغاية مع من أسماهم القرآن بأهل الكتاب اليهود والنصارى، مثلت أحد صور الحوارات القرآنية ونماذجه.

ومن هذه الجهة، أبرزت هذه الكتابات الأسس والمبادئ التي دعا إليها القرآن في مجال الحوار مع أهل الكتاب.

وفي هذا الشأن يأتي كتاب: (أسس الحوار في القرآن الكريم .. دراسة في علاقة الإسلام باليهودية والمسيحية)، لمؤلفه المستشرق الألماني المعاصر هربرت بوسه، صدرت ترجمته العربية في القاهرة سنة ٢٠٠٥م، أنجزها أستاذ الدراسات اليهودية والاستشراقية في جامعة القاهرة الدكتور أحمد محمود هويدي .

ويعد هذا الكتاب في نظر بعضهم من الدراسات الاستشراقية المعاصرة المهمة التي كشفت عن علاقة الديانات التوحيدية الثلاث فيما بينها، وخصوصاً علاقة الإسلام بالديانتين السابقتين عليه اليهودية والمسيحية .

وقد برهن المؤلف في هذا الكتاب بأدلة علمية وموضوعية على عدم خضوع الإسلام ومصادره الأساسية، وفي مقدمتها القرآن لأي تأثيرات خارجية من اليهودية والمسيحية، وعلماً أن القرآن يمثل نموذجاً للوحدة الدينية لكونه يشير إلى إله واحد، وبوصفه نصاً أصلياً .

والذين تعرفوا إلى هذا الكتاب عدّوه أنه يأتي في سياق ما أنجزه بعض المستشرقين الألمان الذين مثلوا اتجاهًا إيجابياً وموضوعياً في الدراسات الإسلامية، حيث أنصفوا الإسلام وحضارته .

وفي هذا الشأن يأتي كذلك كتاب: (الحوار مع أهل الكتاب أسسه ومناهجه في الكتاب والسنة) لمؤلفه خالد القاسم .

رابعاً: المدخل الفكري النقدي:

استند على هذا المدخل بصور مختلفة العديد من الكتابات التي عالجت فكرة الحوار في القرآن، والقصد من هذا المدخل محاولة نقد بعض المقولات الملتبسة وتصحيحها، ومواجهة بعض الإشكاليات الخاطئة التي أثارها وتوارثها خصوم الإسلام في محاولة منهم لمحصرة الدين والتشكيك فيه، ووقف تمدده وانتشاره في

داخل محيطه وخارجه، ولإثارة حالة من الفوضى الفكرية في بيئاته ومجتمعاته، ولفتح المنافذ أمام تغلغل الأفكار والمفاهيم المغايرة ونفوذها. وأشار إلى مثل هذه المقولات والإشكاليات وباهتمام واضح السيد فضل الله في مقدمات كتابه: (الحوار في القرآن)، وهي المقدمات التي ظل يجدد فيها رؤيته لفكرة الحوار في القرآن مع تعاقب السنين، في ظل ما كان يشهده الواقع الفكري الإسلامي من تحولات وتغيرات متأثراً تارة بالقوى المنبعثة من داخله، وتارة بالقوى المنبعثة من خارجه.

ومن هذه الإشارات، ما جاء في الطبعة الثانية من الكتاب الصادرة سنة ١٤٠٣هـ، حيث أشار السيد فضل الله بقوله: (ربما يكون للحديث عن الحوار في القرآن دور ثقافي يحدد للناس نظرة الإسلام إلى حركة الخلافات الفكرية التي تفرض نفسها على واقع التفكير في الحياة، ويناقد المقولة التي تتهم الإسلام بأنه دين السيف الذي لا يطرح فكره للناس إلا من خلال السيف بعيداً عن كل فكر، وعن كل حوار، لتحل محلها المقولة التي تفتح كل الأبواب المغلقة للحوار، يبرز الإسلام من خلالها دين دعوة وفكر وحوار) (٦).

وفي مقدمة الطبعة الرابعة الصادرة سنة ١٤٠٧هـ، أشار السيد فضل الله بقوله: (إننا نواجه الآن الكثير من الاتهامات التي تتحدى الصورة الحقيقية للإسلام في عقلانيته وموضوعيته، وقوته الفكرية في مواقع الحوار لترسم له صورة الدين الذي يرفض العقل والمنطق، ويعمل على مصادرة الحرية الفكرية، ويخاطب الأمة من موقع غرائزها، لا من عمق تفكيرها) (٧).

وفي هذا الشأن يأتي كذلك كتاب (الحوار الفكري في القرآن الكريم) لمؤلفه أمين حلمي أمين الصادر سنة ١٩٩٧م.

لعلها هذه أبرز المداخل التي استندت عليها الكتابات الإسلامية، التي تناولت

الحديث عن فكرة الحوار في القرآن الكريم، وهي المداخل التي كشفت بدورها عن أهمية هذه الفكرة وقيمتها، وتعدد أبعادها ومجالاتها، كما كشفت أيضاً عن تطور علاقة الفكر الإسلامي المعاصر بهذه الفكرة، وكيف تجدد هذا الاهتمام متأثراً بتحولات الواقع ومعطياته الموضوعية والفكرية.

3

من الجدل إلى الحوار

قبل الالتفات إلى فكرة الحوار في القرآن الكريم والعناية بها، كانت فكرة الجدل هي التي تستحوذ على الاهتمام في الكتابات الإسلامية، ويكفي دلالة على ذلك النظر في الكتابات التي حاولت البحث عن الكلمات والألفاظ في إطار ما يسمى بحقل المصطلحات القرآنية، حيث نجد اعتماد كلمة الجدل بوصفها من الكلمات الشائعة في القرآن، وتصلح أن تكون من المصطلحات القرآنية، في حين لا نجد اعتماد كلمة الحوار في هذه الكتابات.

وهذا ما نلاحظه عند العودة إلى كتاب (مصطلحات قرآنية)، لمؤلفه الدكتور صالح عزيمة، الصادر سنة ١٩٩٤م، حيث احتوى الكتاب على مئة وثلاثة مصطلحات من بينها كلمة الجدل، وليس من بينها كلمة الحوار.

ولعل من السهولة تفسير هذه الملاحظة عند النظر في القرآن، إذ نجد أن كلمة الحوار لم تأت في سياق تلفت الانتباه، وجاءت في ثلاث آيات فقط، بخلاف كلمة الجدل التي جاءت في سياقات تلفت الانتباه، ووردت في تسع وعشرين آية، وفي ست عشرة سورة مكية ومدنية، وفي سبع عشرة صيغة اشتقاقية. وكلمة الحوار لم ترد بهذه الصيغة الاسمية في القرآن، ووردت بصيغة أخرى

في سورتين هما: الكهف والمجادلة، واتصلت بموضعين وسياقين كشفت عنهما الآيات نفسها، وهذه الآيات هي:

١. قال تعالى: { فَقَالَ لِمَ صَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا }^(٨).
٢. قال تعالى: { قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا }^(٩).
٣. قال تعالى: { قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يُسْمِعُ تَحَاوُرُكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ }^(١٠).

والذي قلب الاهتمام فيما بعد من فكرة الجدل إلى فكرة الحوار في الكتابات الإسلامية، عوامل ومعطيات كانت محفزة ودافعة إلى ذلك، وفي هذا الصدد يمكن الإشارة إلى ثلاثة عوامل مؤثرة ومتراطة فيما بينها، هي:

أولاً: تفضيل كلمة الحوار على كلمة الجدل؛ وذلك لما بين هاتين الكلمتين من مفارقات تباعد وتباين بينهما، لغوياً ومعنوياً، ففي الوقت الذي تأتي كلمة الحوار متجردة عن أي إضافة سلبية من جهة المعنى أو الإيحاء، فإن كلمة الجدل تأتي محملة بإضافة سلبية من جهة المعنى أو الإيحاء.

فحين يعرف الشريف الجرجاني الجدل والجدال في كتابه (التعريفات)، يقدم ثلاثة تعريفات تتضمن ذماً وقدهاً، فعن الجدل يقول عنه في التعريف الأول: (هو القياس المؤلف من المشهورات والمسلمات، والغرض منه إلزام الخصم، وإفحام من هو قاصر عن إدراك مقدمات البرهان).

وفي التعريف الثاني هو: (دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة أو شبهة، أو يقصد به تصحيح كلامه، وهو الخصومة في الحقيقة).

ويعرف الجدل بقوله هو: (عبارة عن مراء يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها)^(١١).

و حين يعرف الراغب الأصفهاني الجدل والجدال يقول: (الجدال المفاضلة على سبيل المنازعة والمغالبة، وأصله من جدلت الحبل، أي: أحكمت فنتله، وكأن المتجادلين يفتل كل واحد الآخر عن رأيه، وقيل الأصل في الجدال الصراع وإسقاط الإنسان صاحبه على الجدالة وهي الأرض الصلبة) (١٣).

ومن دلالة ذلك معرفة أن المعنى المذموم هو المعنى الغالب على استعمال القرآن لكلمة الجدل واشتقاقاتها الأخرى، وكأن الأصل في استعمالها هو الذم، والحمد منها جاء في آيات قليلة غلب على قسم منها قيد: {بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}، كما في قوله تعالى: {وَجَادِلْهُمْ بِلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} (١٣)، وقوله تعالى: {وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} (١٤).

وأشار إلى هذا التفضيل السيد فضل الله في كتابه (الحوار في القرآن) حين أجرى مقارنة بين الكلمتين، وحسب رأيه: (قد فضلنا اختيار كلمة الحوار في موضوع الكتاب، وإن كانت كلمة الجدل أوسع مساحة في حديث القرآن وأسلوبه لأمرين:

الأول: إن كلمة الجدل أخذت مدلولاً جديداً يوحى بالطريقة التي يتبعها المتناظران أو المتجادلان، ليغرقا حديثهما أو مناظرتهما بالكلام العقيم، الذي قد يقترب إلى الترف الذهني، بما يثيره من قضايا جانبية أو مناقشات لفظية، تخضع الفكرة إلى متاهات لا يعرف الإنسان كيف تنتهي، وأين تستقر؟.

ولعل السبب في ذلك، هو أن الجدل تحول إلى صناعة يقصدها كثيرون لذاتها، من أجل التدرب على الأخذ والرد والهجوم والدفاع في مجالات الصراع الفكري؛ ليعطل قوة خصمه، لا ليوصله إلى الحقيقة، أو ليصل معه إلى قناعة، ولهذا لم نرد لحديثنا أن يخضع لهذا الإيحاء بادئ ذي بدء.

الثاني: إن كلمة الحوار أوسع مدلولاً من كلمة الجدل، ولكونها تضمن الكلمة الثانية معنى الصراع، في حين نجد الكلمة الأولى تتسع له ولغيره^(١٥).
ثانياً: إن مساحة الحوار المتجلي في القرآن هي أوسع من مساحة الجدل، الأمر الذي جعل بعضهم يصف القرآن بأنه كتاب حوار لا حدود لأبعاده وآفاقه، في دلالة على عمق التجلي لمساحة الحوار في هذا الكتاب المجيد.
ويكفي النظر لحوارات الأنبياء والرسل مع أقوامهم ومجتمعاتهم، لمعرفة مدى المساحة الكبيرة التي يتجلى فيها الحوار في القرآن.

ثالثاً: تأثير العامل الموضوعي مع ما شهدته فكرة الحوار من انبعاث واسع، حيث أخذت حيزاً كبيراً من الاهتمام العالمي العابر بين الثقافات والديانات والمجتمعات، وذلك في ظل تجديد الاهتمام بفكرة حوار الحضارات التي تلقفها العالم بسرعة لتخطي الصدمة المدوية التي أحدثتها مقولة صدام الحضارات، ومن ثمّ لتهدئة الغليان الذي وضع العالم على حافة الصدام مع أحداث الحادي عشر من سبتمبر.
وتواصل الاهتمام العالمي بفكرة الحوار، في ظل تجديد الاهتمام بفكرة حوار الأديان التي شهدت نشاطاً واسعاً ومتصاعداً مع بداية القرن الحادي والعشرين.

هذا الانبعاث والامتداد الواسع لفكرة الحوار على الصعيد العالمي، إلى جانب تجديد الاهتمام بها فيما عرف بالحوارات الوطنية على الصعيد العربي، أسهم في تأكيد الاهتمام بفكرة الحوار في المجال الإسلامي، والاتلفت لهذه الفكرة في القرآن الكريم.

لعل هذه من العوامل المؤثرة في تحول الاهتمام من فكرة الجدل إلى فكرة الحوار في الكتابات الإسلامية المعاصرة.

الفصل الثاني

الحوار في القرآن.. صور ونماذج

1

حوار الله سبحانه مع الملائكة

يكفي لعظمة الحوار في القرآن، معرفة ما كشفه لنا هذا الكتاب المجيد، من أن الحوار بدأ قبل الإنسان، خلقاً ووجوداً، وبدأ عنه وحوله وبسببه، في حوار جرى بين الله جلت قدرته مع ملائكته المقربين، نقله لنا القرآن الكريم في قوله تعالى: { وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ، وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ }^(١٦).

من هذا الحوار يمكن أن نستخلص النتائج الآتية:

أولاً: إن أقدم حوار على الإطلاق له علاقة بعالم الإنسان حسب ما كشفه لنا القرآن الكريم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، هو هذا الحوار الذي جرى بين الله سبحانه وملائكته في عالم كان فيه الملائكة ولم يكن فيه الإنسان، وكان الإنسان محور هذا الحوار.

ونفهم من ذلك أن أول حوار ظهر إلى الوجود، وأرشدنا إليه القرآن الكريم هو الحوار الذي أشارت إليه الآيات المذكورة، ومن ثم فهو أول حوار ينبغي العودة والرجوع إليه.

ثانياً: برهنت هذه الآيات على صحة وصدقية المقولة التي تستعمل كثيراً في الكتابات الإسلامية، وهي مقولة: (في البدء كان الحوار)، والحاجة إلى هذه البرهنة لما لهذه المقولة من أهمية وقيمة في حقلها الدلالي، فهي من أكثر المقولات دلالة على قيمة الحوار وعظمته والحاجة إليه، والمقصود بها أن الحوار بدأ منذ وجود الإنسان على هذه الأرض، وعلى الإنسان أن يتخذ من الحوار بدءاً ومنطلقاً وسبيلاً في علاقته بالإنسان الآخر الذي هو إما أخاً له في الدين، وإما نظيراً له في الخلق.

وهذا يعني أن الحوار ليس أمراً طارئاً على الإنسان والمجتمع الإنساني، أو دخيلاً عليهما، ولا حتى عابراً، وإنما هو أمر له صفة الرسوخ والثبات.

ثالثاً: اقتضت حكمة الله سبحانه أن يتحاور مع ملائكته المقربين الذي يسبحون بحمده ويقدمون له، حين أراد جلت قدرته أن يجعل في الأرض خليفة، تحاور معهم وهو غني عن محاورتهم، ويكفي عنده سبحانه أن يقول للشيء كن فيكون.

والغاية من هذا الحوار متوجهة للإنسان لكي يتبصر في هذا الموقف، وبمعن النظر فيه، ويتعلم منه التخلق بالحوار، واتخاذ منهجاً وسبيلاً في الحياة، وفي التعامل مع الآخرين.

رابعاً: كشفت هذه الآيات عن أن العلم هو المقوم الحقيقي للحوار، والمحرك له، والباعث عليه، فحين قال الملائكة: {أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ}، خاطبهم سبحانه: {إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ}.

وحين علم الله آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة، قائلاً لهم: أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين، خاطبه الملائكة: { لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ }.

فبالعلم خاطب الله الملائكة، وبالعلم رفع الله منزلة آدم وشرّفه وكرّمه، وبالعلم صدق الملائكة وقالوا: سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا.

وهذا يعني أن الحوار ينبغي أن يتخذ من العلم وجهة ومنطلقاً وسبيلاً؛ لأن الحوار يقوم بالعلم ولا يقوم بالجهل، والعلم هو منطلق الحوار، ولن يكون الجهل منطلقاً للحوار أبداً؛ وذلك لأن العلم يجعل من الحوار حاجة وقيمة، ويعطي الحوار محتوى ومضموناً، وينتهي به ثمرة ومكسباً.

بمعنى أن الحوار ينبغي أن يبدأ من العلم وينتهي إلى العلم، وهذا هو الحوار الإيجابي الفعّال، حوار العقلاء والحكماء.

2

حوار الله سبحانه مع إبليس

من حوار الله سبحانه مع الملائكة عن الإنسان قبل خلقه ووجوده، انتقل الحوار إلى إبليس الشيطان الرجيم عن الإنسان أيضاً، لكن بعد خلقه ووجوده، فالإنسان هو محور الحوار في هذين الموقفين الحواريين.

وكان من المدهش حقاً أن ينقل لنا القرآن هذا الحوار بين الله سبحانه وإبليس، وبهذه الكيفية التي شرحها الكتاب المجيد. ولا شك في المغزى العميق والبعيد لهذا الأمر، وهو بحاجة إلى مزيد من التأمل المستفيض والمستمر، للتبصر بحكمته، والتنوير بعبرته ومواعظه.

وقد نقل لنا القرآن الكريم هذا الحوار في أربع سور مكية هي: الأعراف الآيات (١١ - ١٨)، الحجر الآيات (١٣ - ٣٤)، الإسراء الآيات (١٦ - ٥٦)، سورة ص الآيات (١٧ - ٣٨).

ونموذج لهذا الحوار، قال تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ، قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ، قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ، قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ، قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ، قَالَ فَبِمَا أَعْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ، ثُمَّ لَاتَيْنَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ، قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْذُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ} (١٧).

من هذا الحوار يمكن أن نستخلص النتائج الآتية:

أولاً: لقد ضرب الله لنا مثلاً بليغاً للغاية، وفوق ما يتخيل الإنسان، حين تحاور مع إبليس الذي عصى أمره، وخرج من طاعته، واستكبر وتعالى، في دلالة صريحة على أن العصيان لا يمنع من الحوار، واستنطاق وجهة النظر المغايرة، والبوح بها، ليس هذا فحسب، وإنما العصيان لا يمنع من الحوار حتى لو كان الطرف الآخر هو إبليس الشيطان الرجيم، الذي عليه اللعنة إلى يوم الدين.

ثانياً: إذا كان الله الذي هو نور السماوات والأرض، وله ملكوت السماوات والأرض، ويسبح له من في السماوات والأرض، تحاور مع إبليس الذي هو رمز الشر ومصدره في هذا الوجود، فهذا يعني أن الحوار ممكن إذا اقتضت الضرورة مع

أي إنسان في هذا العالم مهما كانت صفته ووضعيته؛ لأنه ليس بين البشر من هو في منزلة إبليس الذي هو شر كله، في حين أن الناس كلهم عيال الله، فطرهم على فطرته، ولا تبديل لخلق الله، قال تعالى: {فَطَرَهُ اللهُ الَّذِي لَمْ يَكُن لَكُمْ مِنْ قَبْلُ شَيْئًا وَلا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ} (١٨).

ثالثاً: تؤصل هذه الآيات لمبدأ في غاية الأهمية، مبدأ أن الحوار هو الأصل في التعامل والسلوك، ومعنى ذلك أنه لا بد من الرجوع إلى مبدأ الحوار إذا اقتضى الأمر حتى مع أولئك الذين ينتهجون سبل الشيطان، ليكون الحوار حجة عليهم، فالله سبحانه تجاوز مع إبليس، واتخذ من الحوار مبدأ قبل أن يطرده من رحمته، ويلعنه إلى يوم الدين.

وهذا يعني أن الحوار هو الأصل، ومن ثم لا بد من اعتماده والرجوع إليه حتى في مثل هذه الحالات.

رابعاً: يستفاد من هذه الآيات التأكيد على مبدأ قياس الأولوية في الحوار، فإذا كان الحوار ممكناً مع إبليس، فمن باب أولى أن يكون ممكناً ومتحققاً بين المسلم وأخيه المسلم، وبين الإنسان ونظيره الإنسان؛ لأنه لا يعقل أن يتحاور الله سبحانه مع إبليس، ولا يتحاور الإنسان مع الإنسان، أو ينقطع الحوار بين الإنسان والإنسان سواء كان أخاً له في الدين أو نظيراً له في الخلق، فهذا خلاف ما يعرف عند الأصوليين في أصول الفقه بقياس الأولى.

خامساً: كشفت هذه الآيات عن منبع الخطيئة التي قادت إبليس إلى أن يخالف أمر الله سبحانه، ويخرج من طاعته وعبادته، حين امتنع عن السجود لآدم، وشرح لنا القرآن الكريم في آيات كثيرة أن منبع هذه الخطيئة هو التكبر، قال تعالى: { وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ } (١٩).

وهذا يعني أن التكبر كان أول سبب في حصول أول خطيئة حين أبى إبليس واستكبر وكان من الكافرين.

من هنا يمكن القول: إن التكبر من أسوأ الحالات التي يُبتلى بها الإنسان؛ لأنها قد تخرجه من عبادة الله، ويدل على ذلك ما نُجده في القرآن من الضادة بين التكبر والعبادة، قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ }^(٢٠)، وقال تعالى: { وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا }^(٢١)، وقال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ }^(٢٢).

3

حوار الله سبحانه مع آدم

من حوار الله سبحانه مع الملائكة رمز الخير، إلى حوارهِ سبحانه مع إبليس رمز الشر، انتقل حوارهِ سبحانه مع آدم رمز الإنسان وهو في الجنة. هذه هي الحوارات الثلاثة الأولى التي شرحها لنا القرآن الكريم، وكان الإنسان مادتها وموضوعها.

وكشفت هذه الحوارات في أطوارها الثلاثة، عن ثلاث مسائل رئيسة، هي: المسألة الأولى: تمحورت حول العلم في دلالة على شرف الإنسان وتكريمه، حين علّم الله آدم الأسماء كلها فسجد له الملائكة.

المسألة الثانية: تمحورت حول نزعة التكبر التي كانت سبباً لأول خطيئة حصلت في عالم الوجود، حين استكبر إبليس وعصى أمر ربه في السجود لآدم.

المسألة الثالثة: تمحورت حول الطمع في الحصول على منزلة الملائكة والخلود التي كانت سبباً لأول خطيئة حصلت في عالم الإنسان، حين اقترب آدم من الشجرة، وهبط من الجنة إلى الأرض.

وقد نقل لنا القرآن الكريم هذا الحوار الثالث بين الله - سبحانه وتعالى - وآدم في سورتين مكيتين هما: الأعراف الآيات (١٩ - ٢٤)، وطه الآيات (١١٧ - ١٢٣). ونموذج لهذا الحوار قال تعالى في سورة الأعراف: { وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ، فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوَاتِحِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ، وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لِمِنَ النَّاصِحِينَ، فَذَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوَاتِحُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْتُ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ، قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ، قَالَ أَهْبُطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ }.

من هذا الحوار يمكن أن نستخلص النتائج الآتية:

أولاً: إن هذا الحوار كان أول حوار من الله سبحانه مع الإنسان، ومنه انتقل حوارهِ سبحانه وتجدد مع بعض أنبيائه ورسله الكرام كما شرح لنا ذلك القرآن في كثير من آياته وسوره.

وأول حوار يحصل بين الله سبحانه والإنسان، لا بد أن تكون له طبيعته الخاصة، وله حكمته البالغة، التي تستدعي تذكره المستمر، والرجوع الدائم إليه، للتبصر فيه، والتنوير بعبرته ومواعظه.

ثانياً: إن الله اتخذ من الحوار سبيلاً في تذكير آدم وزوجته وتنبيههما، وإخراجهما من غفلتهما، وتبصيرهما بخطئهما، وبهذا يكون الحوار وسيلة للتربية والتهديب والتعليم.

ثالثاً: يتأكد في هذه الآيات أن الحوار يمثل أصلاً ثابتاً لا بد من الرجوع إليه، والاستناد عليه في العلاقة مع الآخرين، وفي تصحيح الأمور، وتصويب الأخطاء. ومن ثم لا ينبغي التعامل مع الحوار بوصفه أمراً طارئاً، أو سلوكاً عابراً، أو شيئاً عادياً يكون متغيراً أو متبدلاً بحسب الظروف أو تبدل الأحوال.

رابعاً: شرحت لنا هذه الآيات البدايات الأولى، أو الطور الأول لحياة الإنسان بعد خلق آدم وحواء، وكشفت لنا عن أول خطيئة صدرت من هذا المخلوق؛ وذلك حينما اقترب آدم وحواء من تلك الشجرة المحرمة عليهما، وقادتتهما إلى الهبوط من الجنة التي كانا فيها إلى الأرض التي بقيا عليها.

وبصّرتنا هذه الآيات أن الدافع إلى هذه الخطيئة، هو الطمع في الحصول على منزلة الملائكة والخلود التي وسوس بها الشيطان لآدم وحواء، فدلاهما بغرور حتى ذاقا من تلك الشجرة، فبدت لهما سوءاتهما، وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة.

والحوار في هذه الآيات ارتبط بهذه الحادثة وجاء منبهاً ومذكراً ومبصراً، وهذا من وظائف الحوار عامة، ومن وظائفه التربوية خاصة.

4

حوار الأنبياء مع أقوامهم

حوارات الأنبياء والرسل مع أقوامهم ومجتمعاتهم، من أكثر الحوارات التي أفاض القرآن الكريم في شرحها والحديث عنها، وأخذت مساحة كبيرة في سورة وآياته، وأبرزت بوضوح الطابع الحواري للقرآن الكريم.

لن نتمكن من الإشارة إلى جميع هذه الحوارات، لكننا سنشير إلى ثلاثة نماذج رئيسة منها، هي:

أولاً: حوار نبي الله نوح مع قومه:

يعد هذا الحوار أول حوار ذكره لنا القرآن بين نبي وقومه، وجاء معبراً عن طور جديد، حيث انتقل فيه خطاب القرآن إلى فكرة القوم والجماعة، واستعمل تسمية القوم، ونسب القرآن هذه التسمية إلى بعض الأنبياء وفي مقدمتهم نبي الله نوح، عليه السلام، قال تعالى: { أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ } (١٣).

والانتقال إلى فكرة القوم والجماعة، جاء بعد أن كان الخطاب متوجهاً من قبل إلى آدم وحواء، ومن ثم إلى ابني آدم: قابيل وهابيل، وصاحب هذا الانتقال تحول في الخطاب من الحديث عن الصفات النفسية والفردية، إلى الحديث عن الصفات الجماعية والاجتماعية، وهذه ملاحظة شديدة الأهمية في النظر لطبيعة حوارات الأنبياء مع أقوامهم.

وقد شرح لنا القرآن الكريم حوار النبي نوح مع قومه في ست سور مكية هي: الأعراف الآيات (٩٥ - ٦٤)، يونس الآيات (٧١ - ٧٣)، هود الآيات (٢٥ - ٤٩)، المؤمنون الآيات (٢٣ - ٤١)، الشعراء الآيات (١٠٥ - ١٢٢)، وسورة نوح الآيات (١ - ٢٨).

ومن نماذج هذا الحوار قوله تعالى في سورة الأعراف: { لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ، قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ، قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ، أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ، فَكَذَّبُوهُ فَأَجْنِبْنَاهُ وَالدِّينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ }.

ثانياً: حوار نبي الله إبراهيم مع قومه:

نبي الله إبراهيم - عليه السلام - من أعظم أنبياء الله سبحانه، اتخذته الله خليلاً في إشارة إلى سمو منزلته ومكانته ورفعته، وكان أمة في قومه: { إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا }^(٢٤)، وهو من أولي العزم، وأبو الأنبياء، حيث جعلت في ذريته النبوة، وترجع إليه وتنسب الديانات السماوية الثلاث الكبرى: اليهودية والمسيحية والإسلام التي تعرف بالديانات الإبراهيمية، الأمر الذي يلفت الانتباه إلى أهمية هذا الحوار وعظمتها بين نبي الله إبراهيم وقومه.

وقد شرح لنا القرآن الكريم هذا الحوار في ثماني سور؛ سبع منها مكية وواحدة منها مدنية؛ هي سورة البقرة، وشهد هذا الحوار تنوعاً في أبعاده وجهاته، وتحدد في ثلاث جهات مع قومه، مع أبيه آزر، ومع الحاكم الظالم في عصره النمروذ، ومع قومه الذين كانوا يعبدون الأصنام.

وهذه السور هي: البقرة آية (٢٥٨)، الأنعام الآيات (٧٤ - ٨٣)، مريم الآيات (٤١ - ٥٠)، الأنبياء الآيات (٥١ - ٧٢)، الشعراء الآيات (٦٩ - ٨٩)، العنكبوت الآيات (١٦ - ٢٧)، الصافات الآيات (٨٣ - ١١٣)، الزخرف الآيات (٢٦ - ٣١).

ومن نماذج هذا الحوار قوله تعالى في سورة الشعراء: { وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ، إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ، قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ، قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ، أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يُضُرُّونَ، قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ، قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ، أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدُمُونَ، فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ، الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ، وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ، وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ، وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ، وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ، رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ، وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ، وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ، وَأَغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ، وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ، يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ، إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ. }

ثالثاً: حوار نبي الله موسى مع قومه:

حوار النبي موسى -عليه السلام- مع قومه في القرآن، هو الحوار الأكثر تكراراً من جهة، والأكثر تفصيلاً من جهة أخرى، في إشارة إلى عناية القرآن بهذا النموذج من الحوار، ولفت الانتباه إليه؛ لمزيد من الاتعاظ والتنوير بحكمته. وقد شرح لنا القرآن هذا الحوار في كثير من الأطوار والمواقف التي مرَّ بها نبي الله موسى وعاصرها في حياته، ومع كثير من الفئات والأشخاص في قومه وخارج قومه.

وجاء هذا الحوار في إحدى عشرة سورة؛ تسع منها مكية واثنان منها مدنية هما: البقرة والمائدة، وهذه السور هي:

١. البقرة، أشارت إلى الحوار في موردين؛ المورد الأول في الآيات (٥٤ - ٦١)، وتطرق الحوار إلى أبرز القضايا التي حصلت بين موسى وقومه، مثلاً قضية العجل، والنظر إلى الله جهرة، وطلب الأطعمة المتنوعة. المورد الثاني في

١. الآيات (٦٧ - ٧١)، تطرق الحوار إلى قضية البقرة التي صدر الأمر بذبحها، وذبحوها بعد حوار عقيم، وما كادوا يفعلون.
٢. المائة الآيات (٢٠ - ٢٦)، تطرق الحوار إلى الأرض المقدسة التي رفض قوم موسى أن يدخلوها، وكانت سبباً لأن يطلب موسى من ربه أن يفرق بينه مع أخيه وقومه.
٣. الأعراف الآيات (١٠٣ - ١٥٥)، تطرقت هذه الآيات إلى حوار طويل بين موسى وفرعون والسحرة، ثم انتقل الحوار بين موسى وقومه.
٤. يونس الآيات (٧٥ - ٩٣)، جرى في هذه الآيات حوار بين موسى وفرعون وملئه حول السحر والسحرة وفتنة فرعون.
٥. إبراهيم الآيات (٦ - ٩)، جرى في هذه الآيات حوار بين موسى وقومه بعد النجاة من آل فرعون.
٦. الإسراء الآيات (١٠١ - ١٠٤)، جرى في هذه الآيات حوار بين موسى وفرعون.
٧. الكهف الآيات (٦٠ - ٨٢)، جرى في هذه الآيات حوار من نوع مختلف توقف عنده الدارسون والمفسرون باهتمام كبير؛ وذلك لطبيعته اللافتة والمحيرة، وهو الحوار الذي جرى بين موسى والعبد الصالح الذي أتاه الله رحمة وعلمه من لدنه علماً، وطلب منه موسى أن يعلمه مما علم رشداً، لكن موسى لم يستطع عليه صبراً.
٨. طه الآيات (٢٤ - ٩٧)، جرى في هذه الآيات أطول حوار بين موسى وقومه مع الإشارة إلى فتنة السامري.
٩. الشعراء الآيات (١٠ - ٦٧)، جرى في هذه الآيات حوار بين موسى وفرعون وقومه.

- ١٠ . القصص الآيات (١٥ - ٤٠)، جرى في هذه الآيات حوار تعلق بحين خرج موسى من قومه، وتوجه لتقاء مدين، ثم العودة مرة أخرى إلى قومه.
- ١١ . غافر الآيات (٢٣ - ٣٣)، جرى في هذه الآيات حوار فيه إشارة إلى مؤمن آل فرعون.

ومن نماذج هذا الحوار قوله تعالى في سورة يونس: { ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ، فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ، قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسْحَرُ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ، قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتْنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمْ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ، وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ، فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُّلقُونَ، فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ، وَيَحِقُّ لِلَّهِ الْحَقُّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ، فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ، وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُّسْلِمِينَ، فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ، وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ }.

هذه ثلاثة نماذج لحوارات الأنبياء مع أقوامهم، وإلى جانبها هناك حوار نبي الله هود مع قومه، وحوار صالح مع قومه ثمود، وحوار شعيب مع قومه أهل مدين، إلى حوار عيسى مع قومه بني إسرائيل.

من هذه الحوارات يمكن أن نستخلص النتائج الآتية:

أولاً: إن هذه الحوارات الكثيرة والمتنوعة والممتدة في كثير من السور القرآنية، هي من أبرز ما يلفت النظر إلى الطبيعة الحوارية في القرآن الكريم، وإلى ما

يؤكد هذه الطبيعة ويبرهن عليها.

وهذا يعني أن فكرة الحوار هي فكرة أصيلة وراسخة في القرآن، وليست مجرد فكرة عابرة وطارئة، الأمر الذي يقتضي تأكيد العناية والاهتمام بفكرة الحوار في هذا الكتاب المجيد، والاستناد عليه في تأصيل فكرة الحوار في الإسلام وتقعيدها.

ثانياً: كشفت هذه الحوارات وبرهنت على أن الحوار كان نهج الأنبياء مع أقوامهم في مختلف أزمنتهم وأمكنتهم، من نبي الله نوح إلى خاتم النبيين محمد عليه وعليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام، ومع مختلف أقوامهم، بغض النظر عن طبيعة هذه الأقوام ونوعية قضاياها ومشكلاتها، ولم ينقل لنا القرآن الكريم سيرة نبي أو رسول لم يسلك نهج الحوار مع قومه. الأمر الذي يقتضي من الدعاة إلى الله والعاملين في سبيله، أن يكونوا أكثر الناس تمسكاً بنهج الحوار في مجتمعاتهم؛ لأنهم أقرب الناس اقتداءً بنهج الأنبياء.

ثالثاً: بينت هذه الحوارات أن الأنبياء التزموا نهج الحوار في التعامل مع مختلف الشرائح والفئات في أقوامهم، فالحوار كان نهجاً لهم في التعامل مع عموم الناس، وهذا أمر واضح وثابت، وكان الحوار نهجاً لهم أيضاً في التعامل مع طبقة الأعيان وهم الذين وصفهم القرآن بالملأ، وأشار إليهم حين اعترضوا على نبي الله نوح في قوله تعالى: { فَقَالَ الْمَلَأَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ } (٢٠).

كما كان الحوار نهجاً كذلك للأنبياء في التعامل مع الحكام الظالمين، كحوار

نبي الله إبراهيم مع النمرود، وحوار نبي الله موسى مع فرعون . وهذا يعني أن الحوار كان نهجاً وسلوكاً ثابتاً وراسخاً في حركة الأنبياء والرسل، لم يُستغنَ عنه في التعامل مع مختلف الفئات والشرائح المكونة لأقوامهم ومجتمعاتهم .

رابعاً: أوضحت هذه الحوارات أن الأنبياء سلكوا نهج الحوار في التبليغ والإنذار والدعوة إلى الله الواحد الأحد الذي لا شريك له، ولم يسلكوا نهج العنف، وعرفوا بالحوار ولم يعرفوا بالعنف، وتسلموا بقوة المنطق والبيان، ولم يتسلحوا بمنطق العنف والبطش، وتعرضوا للأذى، وتحملوا المتاعب، ولم يقابلوا الأذى بأذىً مثله، ولم تدفعهم المتاعب إلى تغيير نهجهم الحوارية، فكانوا مثلاً للأخلاق والآداب التي لا يجاريهم فيها أحد . وهذا يعني أن الحوار هو الأصل والأساس في الدعوة إلى الله، والعمل في سبيله وليس العنف .

الفصل الثالث

الحوار في القرآن.. قواعد ومبادئ

بإمكاننا أن نستنبط من القرآن الكريم، جملة من القواعد والمبادئ، الناظمة لمنهج الحوار بين المختلفين من الناس، سواء أكان الاختلاف بين أتباع الدين الواحد، أم كان الاختلاف بين أتباع الديانات المختلفة، أم كان الاختلاف مع البشر الآخرين عموماً بغض النظر عن دينهم ومذهبهم، وقومهم وعرقهم، ولغتهم ولسانهم.

ومن هذه القواعد والمبادئ:
أولاً: معيارية الحق:

من الواضح عند العقلاء أن الحوار ليس مطلوباً لذاته، ولا يمثل غاية بذاته، والحوار ليس للحوار ومجرد الحوار، وليس للتظاهر والتفنن بطرائق الحوار ومهاراته، وليس للتفوق والتغلب على الخصم أو الطرف الآخر بهذه الطرائق والمهارات، وإنما الحوار في منطق القرآن هو للوصول إلى الحق واتباعه؛ لأن الحق أحق أن يتبع، قال تعالى: {أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ} (١٦٦)، وقال تعالى: {قُلْ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ، قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ} (١٦٧).

فالحوار في منطق القرآن ينبغي أن يركز على معيارية الحق، لا يفارق هذه المعيارية، ولا يتخلى عنها، أو ينقلب عليها بأي شكل من الأشكال، وفي أي ظرف من الظروف، وتحت أي ضغط من الضغوط.

ومن ثم فإن صورة الحوار وهيئته، وطرائقه وأساليبه، وما يحيط به من أجواء، ينبغي أن تتكيف ومبدأ معيارية الحق، أما الحوار الذي لا يبصر النور بالحق، فهو حوار أحق ألا يتبع.

ثانياً: تجنب الأحكام المسبقة:

هذا المبدأ دلت عليه الآية الكريمة: {وَأِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} (٢٨)، ورجع إلى هذه الآية واستند عليها جميع الذين عالجوا أو اقتربوا من فكرة الحوار في القرآن؛ وذلك لشدة دلالتها، وبلاغة بيانها، ولأنها تضع الحوار في إطار موضوعي بعيداً عن الأحكام المسبقة، ولأنها تتضمن حافزاً قوياً يشجع على الحوار بين المختلفين.

وعلى أساس هذا المبدأ الذي عبّرت عنه هذه الآية يتحقق الحوار عادة، ومن الصعب أن يتحقق من دونه، فالحوار لا يمكن أن يحصل بين طرفين كل طرف يدعي أنه على هدى، والطرف الآخر في ضلال مبین.

فهذه الآية وضعت طرفي الحوار على مسافة واحدة، وجعلت من الحوار سبيلاً في الكشف عمّن هو على هدى، ومن هو في ضلال مبین.

وليس من غاية هذه الآية الكريمة أن تبعث الشك في ذهنية الإنسان المسلم المتمسك بكتابه المجيد، بقدر ما تبعث فيه الثقة في التحوار مع أصحاب المذاهب الفكرية المغايرة.

ثالثاً: التحرر من وصاية السابقين:

من المعضلات الأساسية التي شرحها لنا القرآن الكريم، وكانت سبباً في إعاقه حوار الأنبياء والرسل مع أقوامهم ومجتمعاتهم، هي معضلة عدم التحرر من الوصاية الفكرية والذهنية للسابقين من الآباء والأجداد والأعيان، المعضلة التي جمدت إعمال العقل، وعطلت طاقة الفكر.

والحوار لا يتحقق، ولا يكون فعّالاً ومثمراً إلا بإعمال العقل، وإطلاق طاقة الفكر؛ لأن الحوار هو مخاطبة للعقل، وتحوار مع الفكر، فإذا كان العقل تابعاً، والفكر مقلداً لا يكون للحوار معنى، فصاحب العقل التابع لا يكون مستعداً للحوار،

ولا يتحفظ له، ولا يقبل به وبناتجيه .

ومن الآيات التي أشارت إلى هذه المعضلة، قوله تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُم تَبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلَوْ كَانُوا آبَاؤَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ} (٢٩) .

وقوله تعالى: { بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهُتَدُونَ، وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ، قَالَ أَوْلُو جِئْتَكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ} (٣٠) .

رابعاً: الحوار ومنطق البرهان :

إن الحوار الجاد والفعال هو الحوار الذي يستند على البرهان ومنطق البرهان، والذي يتخذ من الحجج العقلية سبيلاً في معرفة الحق، وإثبات الصدق، واكتشاف الصواب، الحوار الذي يدور مع البرهان حيثما دار .

وقد أكد القرآن هذا المبدأ بدرجة عالية من الوضوح، في قوله تعالى: {قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ} (٣١)، وتكرر التأكيد على هذا المبدأ في ثلاث سور بالصيغة الاعتراضية نفسها، في سورة النمل آية (٦٤)، وسورة الأنبياء آية (٢٤)، وسورة القصص آية (٧٥) .

ومن جهة أخرى انتقد القرآن المحاججة بلا علم ودراية، واستنكر على الذين يحاجون فيما ليس لهم به علم، وأشار إلى ذلك في قوله تعالى: { هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} (٣٢) .

والحكمة في ذلك أن الحوار في منطق القرآن ينبغي أن يستند على الأدلة والحجج

والبراهين والحقائق، وهذا هو الحوار المنتج والمثمر والصائب، لا أن يستند الحوار على الظنون والشكوك والتخيلات والتوهيمات، فهذا الحوار لن يكون إلا فاشلاً وعقيماً وبلا جدوى.

خامساً: الحوار بالتي هي أحسن:

إذا كان القرآن قد دعا إلى الجدل بالتي هي أحسن، فمن باب أولى أن يكون الحوار بالتي هي أحسن؛ لأن الحوار هو الأصل، والجدل هو الاستثناء؛ بمعنى أن الحوار هو السلوك الطبيعي المفترض بين الناس، في حين الجدل هو سلوك لحالات خاصة. والناس عامة وبغض النظر عن الطور التاريخي الذي يمرون به تقدماً أو تراجعاً، تمدناً أو تخلفاً، فإنهم لا يمكن أن ينظموا اجتماعهم الإنساني على أساس قاعدة الجدل، ولا يمكن أساساً أن ينتظم اجتماعهم الإنساني على هذه القاعدة، لكن بإمكانهم أن ينظموا اجتماعهم الإنساني، وينتظم على قاعدة الحوار، وهو الأفضل والأمثل لهم.

ويتأكد هذا الموقف إذا علمنا أن الأصل في استعمال القرآن لكلمة الجدل هو الذم، وتقيدت هذه الكلمة بالتي هي أحسن استثناء، وبهذا القيد عدَّ هذا الجدل في دائرة الجدل الممدوح في مقابل الجدل المذموم.

وجاء هذا التقييد في آيتين فقط؛ الآية الأولى جاءت مطلقة في قوله تعالى: { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ }^(٣٣). والآية الثانية جاءت مقيدة بأهل الكتاب، في قوله تعالى: { وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ }^(٣٤).

والقيد (بالتى هي أحسن)، يفيد المعنى الواسع لكلمة الأحسن، بما يشمل الطرائق والأساليب والمناهج، والآداب والأخلاقيات، وبما يشمل كذلك منطوق الكلام ومضمونه.

الهوامش

الهوامش (Endnotes)

- ١ . السيد محمد حسين فضل الله . الحوار في القرآن قواعده أساليبه معطياته، بيروت: دار الملاك، ط ٦، ٢٠٠١م، ص ١٠ .
- ٢ . السيد محمد حسين فضل الله . المصدر نفسه، ص ١١ .
- ٣ . عبد الرحمن النحلاوي . التربية بالحوار، دمشق: دار الفكر، ط ١، ٢٠٠٠م، ص ١١ .
- ٤ . عبد الرحمن النحلاوي . المصدر نفسه، ص ١٠ .
- ٥ . خالد محمد المغامسي . الحوار آدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية، الرياض: مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، ط ٥، ٢٠٠٨م، ص ٨ .
- ٦ . السيد محمد حسين فضل الله . الحوار في القرآن، مصدر سابق، ص ١٣ .
- ٧ . السيد محمد حسين فضل الله . المصدر نفسه، ص ٢٤ .
- ٨ . سورة الكهف . آية ٣٤ .
- ٩ . سورة الكهف . آية ٣٧ .
- ١٠ . سورة المجادلة . آية ١ .
- ١١ . الشريف علي بن محمد الجرجاني . التعريفات، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٧م، ص ١٠٦ .
- ١٢ . الراغب الأصفهاني . المفردات في غريب القرآن، ضبط ومراجعة: محمد خليل عيتاني، بيروت: دار المعرفة، ٢٠٠١م، ص ٩٧ .
- ١٣ . سورة النحل . آية ١٢٥ .
- ١٤ . سورة العنكبوت . آية ٤٦ .
- ١٥ . السيد محمد حسين فضل الله . الحوار في القرآن، ص ٥٢ .

- ١٦ . سورة البقرة . آية ٣٠-٣٢ .
- ١٧ . سورة الأعراف . آية ١١-١٨ .
- ١٨ . سورة الروم . آية ٣٠ .
- ١٩ . سورة البقرة . آية ٣٤ .
- ٢٠ . سورة غافر . آية ٦٠ .
- ٢١ . سورة النساء . آية ١٧٢ .
- ٢٢ . سورة الأعراف . آية ٦-٢٠ .
- ٢٣ . سورة التوبة . آية ٧٠ .
- ٢٤ . سورة النحل . آية ١٢٠ .
- ٢٥ . سورة هود . آية ٢٧ .
- ٢٦ . سورة يونس . آية ٣٥ .
- ٢٧ . سورة سبأ . آية ٢٥-٢٦ .
- ٢٨ . سورة سبأ . آية ٢٤ .
- ٢٩ . سورة البقرة . آية ١٧٠ .
- ٣٠ . سورة الزخرف . آية ٢٢-٢٤ .
- ٣١ . سورة البقرة . آية ١١١ .
- ٣٢ . سورة آل عمران . آية ٦٦ .
- ٣٣ . سورة النمل . آية ١٢٥ .
- ٣٤ . سورة العنكبوت . آية ٤٦ .

المصادر

ثبت المصادر

- القرآن الكريم
- الأصفهاني، الراغب. المفردات في غريب القرآن، ضبط ومراجعة: محمد خليل عيتاني، بيروت: دار المعرفة، ٢٠٠١م.
- بوسه، هربرت. أسس الحوار في القرآن الكريم.. دراسة في علاقة الإسلام باليهودية والمسيحية، ترجمة: احمد هويدي، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٥م.
- الجرجاني، الشريف علي بن محمد. التعريفات، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٧م.
- فضل الله، السيد محمد حسين. الحوار في القرآن.. قواعده أساليبه معطياته، بيروت: دار الملاك، ٢٠٠١م.
- المغامسي، خالد محمد. الحوار آدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية، الرياض: مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، ٢٠٠٨م.
- النحلاوي، عبد الرحمن. التربية بالحوار، دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٠م.

قواعد النشر في السلسلة

١. أن يكون الكتاب معنياً بإشاعة ثقافة الحوار، محققاً لأهداف المركز وتطلعاته.
 ٢. أن يتسم بالجدة والأصالة.
 ٣. أن يتبع المؤلف أسس المناهج العلمية توثيقاً وصياغة.
 ٤. تخضع جميع البحوث المقدمة لهيئة تحرير السلسلة للتدقيق والمراجعة.
 ٥. ألا يكون قد سبق نشره في مكان آخر.
 ٦. أن يكون الكتاب ذا صلة بالواقع والأحداث المعاصرة.
 ٧. يتراوح الكتاب من ٥٠٠٠ إلى ٧٠٠٠ كلمة.
 ٨. يقدم المؤلف ثلاث نسخ مطبوعة من كتابه ونسخة إلكترونية على قرص (CD)، وملخص وجيز في حدود ثلاث صفحات.
 ٩. إرفاق سيرة ذاتية للمؤلف.
 ١٠. يتم إحالة البحث إلى فاحصين لإجازة البحث قبل نشره.
 ١١. يمنح المؤلف مكافأة مالية، إذا أجاز للنشر مع (١٠٠) نسخة من كتابه.
 ١٢. المكاتبات توجه إلى أمين هيئة تحرير سلسلة رسائل في الحوار، عبر البريد الإلكتروني: (rs@kacnd.org)
- فاكس: ٢٦٦٥٧٧٨ ١١ ٩٦٦ + هاتف: ٢٦٦٥٧٧٧ ١١ ٩٦٦ +
ص.ب: ٨٩٨٦٦ ، الرياض: ١١٦٩٢



مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني

ص.ب. 89866 الرياض 11692
المملكة العربية السعودية
P.O. Box 89866 Riyadh 11692,
Kingdom of Saudi Arabia



+966 11 2665777



+966 11 2665778



info@kacnd.org



www.kacnd.org